

تعريب العلوم الطبية
من التنظير الى التطبيق
أ.د. زهير أحمد السباعي
أستاذ طب الأسرة والمجتمع
جده - المملكة العربية السعودية

المؤتمر الدولي للغة العربية
بيروت - 19-23 مارس 2012

أثار كتابي "تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية" وكتابي " نحو صحة أفضل "ردود فعل أكثرها إيجابية ومشجعة. ويسعدني هنا أن أستخلص هنا ما جاء في الكتاب الأخير حول أهمية تعليم العلوم الطبية باللغة العربية .

"تعليم الطب باللغة العربية دعوة يحمل لواءها اليوم مئات من أساتذة الطب وقادة الفكر والرأي . وهي دعوة تنبعث من منطلق عقلي وواقع عملي .

طالب الطب في أكثر البلاد العربية أداته في تعلم الطب لغة انجليزية لا يجيدها ولا تساعده على إجادة القراءة أو الكتابة أو الحوار . ومن ثم فهو يلجأ إلى الملخصات والمذكرات والحفظ ، ويتحاشى الكتب الطبية والمراجع .

في حين أن دولاً صغيرة في أوروبا مثل فنلندا والسويد والدانمرك وهولندا ، وإسرائيل المغتصبة تدرّس جميعها الطب بلغاتها ، وما من قائل يقول إنها متخلفة في العلوم الطبية ، أو إن لغاتها أغنى من اللغة العربية أو أكثر قدرة منها على الاشتقاق .

وبعد .. إذا ما شئنا لأنفسنا أن نبدع في العلوم الطبية فعلينا أن نتعلمها بلغة نملك ناصيتها، ألا وهي لغة الأم . وإذا ما أردنا أن يسهم الطب في الارتقاء بصحة الفرد والمجتمع ، ولا يقتصر دوره على علاج الأمراض بعد حدوثها ، وأن نهيب المواطن ليكون له دور إيجابي أكبر في وقاية نفسه ومجتمعه من المرض ، فعلينا أن نصل الطب وعلومه بمشاكل البيئة والمجتمع . ولن يكون ذلك إلا بتعليم الطب باللغة العربية .

من ضمن الرسائل التي وصلتني تعليقاً على كتاب "تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية" رسالة من معالي الشيخ جميل الحجيلان سفيرنا – السابق – في باريس . والشيخ جميل ، كان رئيسي الذي اعتز برئاسته يوم كان وزيراً للصحة .
يقول الشيخ جميل :

(لقد تناولت في كتابك الذي عكفت على مطالعته باهتمام أمراً اختلفت بشأنه الآراء . إلا أن وضوح الرؤية في معالجتك لهذا الموضوع ستساهم في اعتقادي في فهم أفضل لهذا الأمر . ولعل الفقرة التي وردت في أعلى الصفحة 30 من الكتاب تكون واحدة من الدفوع الهامة لإقناع أصحاب الرأي المخالف بما تدعو إليه) .

تقول الفقرة من الكتاب التي تشير إليها رسالة معاليه (إن تدريس الطب في بلادنا العربية بلغات أجنبية هو أولاً وقبل كل شيء هزيمة نفسية .. خاصة إذا علمنا أن طالب الطب – في الغالب – لا يملك أن يكتب صفحة واحدة بلغة إنجليزية سليمة. فلغته الإنجليزية ، هجين من اللغتين العربية والإنجليزية . ولبطء قراءته نجده يعتمد على الملخصات وقليلاً ما يعود إلى المراجع) .

أعود إلى ما سبق أن ذكرته ، وهو أن جميع بلدان أوروبا الغربية تدرس الطب بلغاتها والطب فيها متقدم لا وراء . وكثير منها مثل الدول الاسكندنافية عدد سكانها محدود إذا قيس بالبلاد العربية . طالب الطب هناك مطالب بأن يتقن لغة أجنبية سائدة مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

الفائدة المرجوة هي أن طالب الطب إذا تعلم الطب بلغته الأم أتقن ما تعلمه أكثر مما لو درس الطب بلغة أجنبية لا يحسنها . وفي نفس الوقت عليه أن يتقن لغة أجنبية وأن يجتهد في تحصيلها كعلم أساس وليس مجرد وسيلة يتعلم بها علماً آخر. "

حضرات الزملاء والزميلات من المهتمين بقضية تدريب العلوم الصحية والطبية

أن الأوان لأن ننتقل من مرحلة السؤال لماذا نعرب ؟
الى مرحلة السؤال كيف نعرب ؟

كلنا نعرف عن يقين أنه قرار سياسي في الدرجة الأولى .

بعض المسؤولين عن قضية التعريب من وزراء ومدراء جامعات وأساتذة كرام يخشون من تدني مستوى التعليم الطبي إذا كان التدريس باللغة العربية , ويفوتهم أن الطالب الذي لا يجيد اللغة التي يتعلم بها لا يستطيع أن يقرأ أو يستوعب ما يدرس بسهولة , وجل طلاب الطب وأساتذتهم في بلادنا العربية لا يتقنون اللغة الأجنبية التي يعلمون أو يتعلمون بها.

ويحتجون بأن أمة مثل اليابان تدرس الطب باللغة اليابانية لأن الترجمة لديهم من اللغات الأجنبية الحية نشطة . ترى هل نعجز نحن في مجال الترجمة عن ما نجحت فيه اليابان , ونحن أمة أكثر عدداً وأكاد أجزم بأن لغتنا - لغة القرآن - أثنى وأجمل.

إليك اقتراحي وهي مبني على إحصاءات قريبة من الواقع إن لم تكن دقيقة كل الدقة:

إن متابعة الطبيب للجديد في علوم الطب له وسيلتان . أولاهما أن لا يمنح طالب الطب شهادته النهائية إلا إذا اجتاز امتحاناً عالياً في اللغة الإنجليزية مثل TOFEL عندئذ سوف يحرص الطالب على دراسة اللغة الإنجليزية دراسة جيدة. وهذا ما يفعله طالب الطب في الدول التي ذكرناها . ولا يغيب عن أذهاننا أن 3% فقط من الكلمات في الكتب والمراجع الطبية هي كلمات طبية .

الوسيلة الثانية ، هي أن نجعل ترقية أعضاء هيئة التدريس في كليات الطب رهناً بمقدار ما يؤلفون باللغة العربية وما يترجمون إليها .

ولسوف يثري ذلك جامعاتنا بمئات المقالات والكتب الطبية في العام الواحد .

لدينا في عالمنا العربي نحو من 300 كلية طب وعلوم صحية . يتقدم في كل منها في العام الواحد ما لا يقل عن 50 عضو هيئة تدريس للترقية العلمية . لو أن كل واحد منهم طوّل بأن يتقدم للترقية - ضمن المتطلبات الأخرى للترقية - بكتاب واحد ومقالين علميين , مؤلفين باللغة العربية أو مترجمين إليها , وكانت الحصيلة 15000 كتاب و30000 مقالة علمية باللغة العربية في السنة الواحدة , أي 75000 كتاب و150000 مقالة علمية باللغة العربية في 5 سنوات. وهو حمل ليس بالثقل على المتقدم للترقية إذا تذكرنا أنه يتقدم إليها مرة في كل نحو أربع سنوات.

سمعنا وقرأنا مؤخرًا أن ما يترجم في اليونان إلى اللغة اليونانية في العام الواحد أكثر مما يترجم إلى اللغة العربية في نفس الفترة. هل هذا صحيح؟ إذا كان حقا فلنتعظ ولنتدبر.

وسمعنا أن ما يؤلف باللغة الأسبانية في العام الواحد أكثر مما ألف باللغة العربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم . هل هذا صحيح؟ لا أعرف . ولكن إن كان حقا فهي كارثة وعلينا أن نتعظ ونتدبر .

أعود فأقول . لو أخذ هذا القرار السياسي في عام 2010 ميلادي . وقرر على جميع كليات الطب والعلوم الصحية في العالم العربي في عام 2011 وبدئ بتنفيذه في عام 2012 وروعي أن تبدأ الدراسة باللغة العربية في السنة الأولى من كليات الطب والعلوم الصحية في عام 2013 . وإذا افترضنا أن 10% من هذه الكتب والمقالات باللغة العربية خاصة بالسنة الأولى في هذه الكليات , سوف يكون لدينا يوم ذاك ما لا يقل عن 1500 كتاب وضعف هذا العدد من المقالات . (أفترض هنا أن نظمنا التعليمية تشجع الطلاب فعلا على دراسة المراجع والمقالات العلمية , ولا تكتفي بالملخصات والمحاضرات التي تلقى إلقاء) . فإذا ما أضفنا إلى هذا الكم من الكتب والمقالات ما هو موجود حاليا في المكتبة الطبية العربية لاتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن لا حجة لمن يحتج بفقر المكتبة العربية.

هناك إضافة لا بد منها. لا بد للعاملين في الحقل الصحي من إجادة لغة أجنبية حية أو أكثر ليتمكنوا من التواصل العلمي والاستفادة من البحر الزاخر بالمعلومات وأعني به الشبكة العنكبوتية وما يتفرع منها من شبكات. ومن هنا فإني أرجو أن لا يصدر قرار التعريب إلا ويصاحبه قرار آخر بأن لا يقبل

للالتحاق بكليات الطب والعلوم الصحية أو يتعدى منتصف المرحلة الدراسية فيها إلا من يجتاز امتحانا مثل التوفيل في اللغة الإنجليزية بما يعادل 500 درجة . ترى هل نحتاج الى قرار مماثل بأن لا يقبل في الجامعات العربية من أبنائها وبناتها الا من يجيد منهم ومنهن اللغة العربية , لغة الأم والقرآن ؟ حقا لست أدري؟

هذان قراران سياسيان لو أخذ بهما لتقدمت علومنا ومعارفنا . ولأنعكس ذلك إيجابا على أمتنا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا. علينا أن نفتح ساستنا بلغة الأرقام . والله الهادي الى سواء السبيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

زهير أحمد السباعي